لِـمَـنْ هَـوَّنَ الـدُّنْـيَـا عَـلَـى الـنَّـفْـسِ سَـاعـةً
وَلِـلْـبِـيـضِ فِـي هَـامِ الْـكُـمَـاةِ صَـلِـيـلُ(١)

دروع لملك الروم

قال يمدحه بعد دخول رسول الروم عليه:

[الطويل]

دُرُوعٌ لِـمَـلْـكِ الـرُّومِ هٰـذِي الـرَّسَـائِـلُ
يَـرُدُّ بِـهَـا عَـنْ نَـفْـسِـهِ وَيُـشَـاغِـلُ(٢)
هِـيَ الـزَّرَدُ الـضَّـافِـي عَـلَـيْـهِ وَلَـفْـظُـهَـا
عَـلَـيْـكَ ثَـنَـاءٌ سَـابِـغٌ وَفَـضَـائِـلُ(٣)
وَأَنَّـى ٱهْـتَـدَى هٰـذَا الـرَّسُـولُ بِـأَرْضِـهِ
وَمَـا سَـكَـنَـتْ مُـذْ سِـرْتَ فِـيـهَـا الْـقَـسَـاطِـلُ؟(٤)

= الأموال والحروب والانتصارات. الموت الزؤام: الموت السريع. يذكر الشاعر أن الفائز بالغنائم هو من شارك في الحروب فاستحقّ القسمة، لأنه عرّض نفسه إلى الهلاك فورد الموت الزؤام بقلب قوي صلب بلا خوف ولا وجل.

(١) البيض: السيوف. الهام، الواحدة هامة: الرؤوس. الكماة: الأبطال المدججون بالسلاح. يرى الشاعر أن النصر والعزّة لا يستجيبان لضعاف النفوس الذين يُفضلون الجبن على الشجاعة، فهؤلاء لا يستحقّون شيئاً في الوجود وإنما من يستحقّ ذلك هم الأبطال الحقيقيون الذين يعرّضون أنفسهم للموت ومجالدة الأبطال فيبطشون بهم ويهلكونهم وصليل السلاح يصمّ الآذان.

(٢) و (٣) يُخاطب الشاعر سيف الدولة منبهاً بأن تلك الرسائل التي حبكت بتزلّف ملك الروم ما هي في الحقيقة إلّا دروع خادعة، يحتمي وراء كلمات الودّ والملاطفة من جبروت الأمير، إنها محاولة كسب الوقت ليشغله عن مهاجمة بلاده. إنها درع محكم الزرد حبكت خيوطها بعناية بحيث تخدع الأمير وتحمله على المهادنة وعدم الاعتداء على بلدين صديقين، وقد حشيت بمديح يصدق في وصف الأمير، ويُستشفّ منها خضوع ومسكنة واستسلام لشروط من يسعى إلى سلام مزيّف ينمّ عن خوف كاتبها وميله إلى الموادعة والمسالمة.

(٤) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٤. القساطل، الواحد قسطل: الغبار المتصاعد في أرض المعركة. يبدي الشاعر استغرابه كيف =

وَمِـنْ أَيِّ مَـاءٍ كَـانَ يَـسْـقِـي جِـيَـادَهُ
وَلَـمْ تَـصْـفُ مِـنْ مَـزْجِ الـدِّمَـاءِ الـمَـنَـاهِـلُ؟(١)
أَتَـاكَ يَـكَـادُ الـرَّأْسُ يَـجْـحَـدُ عُـنُـقَـهُ
وَتَـنْـقَـدُّ تَـحْـتَ الـدِّرْعِ مِـنـهُ الـمَـفَـاصِـلُ(٢)
يُـقَـوِّمُ تَـقْـوِيـمُ الـسِّـمَـاطَـيْـنِ مَـشْـيَـهُ
إِلَـيْـكَ إِذَا مَـا عَـوَّجَـتْـهُ ٱلأَفَـاكِـلِ(٣)
فَـقَـاسَـمَـكَ الْـعَـيْـنَـيْـنِ مِـنْـهُ وَلَـحْـظَـهُ
سَـمِـيُّـكَ وَٱلْـخِـلُّ الَّـذِي لا يُـزَايِـلُ(٤)
وَأَبْـصَـرَ مِـنْـكَ الـرِّزْقَ وَالـرِّزْقُ مُـطْـمِـعٌ
وَأَبْـصَـرَ مِـنْـهُ الـمَـوْتَ وَالـمَـوْتُ هَـائِـلُ(٥)

= استطاع الرسول المثول بين يدي الأمير، وقد كان مروره في أراضٍ قد تعالى في أرجائها الغبار الذي أثارته جياد الأمير رائحة وغادية تغزوها في كلّ وقت.

(١) الجياد: الخيول. المناهل، الواحد منهل: الموارد. ويسأل الشاعر سيف الدولة مستفسراً عن مصادر المياه التي كان يسقي منها خيوله التي حملته إلى قصر الأمير، فقد تلوّثت الأنهار والينابيع في بلادهم من الدماء التي أهرقها من جنودهم في أراضيهم.

(٢) يروى «الذعر» بدلاً من «الدرع». يجحد: ينكر ويكفر. تنقدّ: تتقطّع. يصف الشاعر حالة الرسول الذي تملّك فيه خوف ورعب، وهو متردّد في مسيره إلى سيف الدولة، فهو يمدّ رجلاً إلى الأمام ثم يعيدها إلى الوراء، وهو يتحسّس رأسه متوهماً أنه وقع من بين كتفيه أو سيقع. أما مفاصله فتقعقع بين أرجله، ولكن ما يجعله يتماسك أنه رسول، وما على الرسول إلّا البلاغ المبين، والرسول عند المسلمين يكرّم ولا يُهان.

(٣) السماطين: الصفين. الأفاكل، الواحد أفكل: الرجفة نتيجة شدّة الفزع. يصف الشاعر مثول الرسول بين يدي الأمير، وقد تملّكه فزع شديد، يتقدّم ببطء بين صفين من حرس الأمير، فلا يجرؤ على النظر إليه، خافض العينين لشدّة الوقع لديه ولهيبة الأمير فإذا ما أحسّ بالاضطراب استعان بالجند يقوّمونه.

(٤) و (٥) يقصد الشاعر بسميك أي سيفك. الخليل: الصاحب المرافق والصديق الدائم. لا يزال الرسول يمشي بطيئاً، فتبدو الطريق طويلة، وعيناه تختلسان النظر إلى سيفين؛ =

وَقَبَّلَ كُمَّا قَبَّلَ التُّرْبَ قَبْلَهُ
وَكُلُّ كَمِيٍّ وَاقِفٌ مُتَضَائِلُ (١)
وَأَسْعَدُ مُشْتَاقٍ وَأَظْفَرُ طَالِبٍ
هُمَامٌ إِلَى تَقْبِيلِ كُمِّكَ وَاصِلُ (٢)
مَكَانٌ تَمَنَّاهُ الشِّفَاهُ وَدُونَهُ
صُدُورُ المَذَاكِي وَالرِّمَاحُ الذَّوَابِلُ (٣)
فَمَا بَلَّغَتْهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةٌ
عَلَيْكَ ولكِنْ لَمْ يَخِبْ لَكَ سَائِلُ (٤)

= أحدهما الأمير، والآخر سيفه، صديقه الدائم الذي لا يُفارقه، ونفسه تحدّثه بأن أي خطأ يبدر منه يعني موتاً مؤكّداً، كما أن علمه بجود الأمير يحمله على الطمع بحصوله على جوائزه فيجعله ذلك يأمل خيراً، ثم ينظر إلى سيفه فيعاوده خوفه، فيستولي عليه رعب قاتل يكاد يُودي بتوازنه النفسي.

(١) الكمي: البطل المدجج بالسلاح. متضائل: متصاغر. إنه مشهد انتهى بالرسول إلى تقبيل الأرض خضوعاً لما يُمثله الأمير ثم بادر إلى تقبيل يديه على طريقة ملوك الفرنجة والروم زال خوفه، ونظرة خاطفة على حرس الأمير اكتشف الرسول أي مدًى يهاب الجند أميرهم ويطيعونه.

(٢) الملك الهمام: العظيم القدر. ممَّا يدلّ على عظم قدر الأمير أن الكثيرين يتمنّوْن تقبيل كم الأمير، فحتى الملوك العظام يتشوّقون إلى ذلك، ففي ذلك رفعة لهم وشرف عظيم قلّ من نال ذلك.

(٣) الذاكي من الخيول: التي كملت أسنانها. الذوابل من الرماح: الطويلة الليّنة. يُخاطب الشاعر سيف الدولة، مبيّناً ما يرمز إليه كمّه، فكلّ شفة تتمنّى تقبيله لما يُمثل من قيمة عظيمة، ولكثرة المزدحمين لينالوا هذا الشرف، فقلّة منهم تواتيهم الفرصة لازدحام الخيول والرماح التي تعمل على دوام حراسته فتحول دون ذلك.

(٤) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٤. يُردف الشاعر حديثه أن تنازل الأمير وقبول الرسول بتقبيل كم سيف الدولة ليس معناه أنه يستحقّ هذا التكريم، ولكن الأمر يتعلّق بالأمير الذي لا يرفض رجاء، فذلك من كرم أخلاقه من يُوافق على طلبه.

وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثَتْ بِهِ
إِلَيْكَ الْعِدَى وَٱسْتَنْظَرَتْهُ الْجَحَافِلُ (١)
فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهْوَ مُرْسَلٌ،
وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهْوَ عَاذِلُ (٢)
تَحَيَّرَ فِي سَيْفٍ رَبِيعَةُ أَصْلُهُ
وَطَابِعُهُ الرَّحْمٰنُ وَالْمَجْدُ صَاقِلُ (٣)
وَمَا لَوْنُهُ مِمَّا تُحَصِّلُ مُقْلَةٌ،
وَلَا حَدُّهُ مِمَّا تَجُسُّ الأَنَامِلُ (٤)
إِذَا عَايَنَتْكَ الرُّسْلُ هَانَتْ نُفُوسُهَا
عَلَيْهَا وَمَا جَاءَتْ بِهِ وَالْمُرَاسِلُ (٥)

---

(١) و (٢) الجحافل، الواحد جحفل: الجيش العظيم. يُخبر الشاعر أن الأعداء قد تدارسوا أمر الرسول حتى وقع عليه الاختيار، فأرسلوه عيناً ورسولاً، فشاهد وعاين وفكّر، فقرّ رأيه على أن الأمير عظيم، فتحت يديه جند يأتمرون بأمره ويُحبّونه ويبذلون معه كلّ غالٍ ورخيص، واستصغر شأن قومه وجيوشهم فلامهم على ما هم عليه من تناحر وتنابذ وعدم تنظيم في صفوفهم.

(٣) و (٤) يصف الشاعر ردّة الفعل لدى السفير، فقد اندهش إذ رأى سيفاً أصيلاً ينتسب إلى قبيلة ربيعة، وأن الرحمن طبعه رحيماً من رحمته بالمسلمين وجبروته وقوته على من عاداهم، فكان صقله حادًّا مستقيماً لا اعوجاج فيه، ولا لون تستطيع العين أن تميّزه به لمهابته، فلا يستطيع المرء إدامة النظر إليه لما يُثيره في نفس عدوه من رعب وإعجاب في آنٍ معاً، ولقد خرج عن مألوف المادة التي تميّز السيوف الحديدية؛ إنه روح وعزيمة وقوّة إرادة بحيث لا يقع تحت مفهوم المحسوسات التي تتعامل معه الأنامل.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٤. شهادة الأعداء تُؤخذ بعين الاعتبار، فقد رأى الرسل ما أدهشهم، فكان الأمير مثار دهشتهم مهابة وخلالاً وعظمة ممّا حملهم على إقامة مقارنة بين ملوكهم وكبرائهم، فاستصغروا شأنهم وما هم عليه من سوء الأحوال، حتى الهدايا التي كانوا يحملونها بدت في نظرهم لا قيمة لها لما يتميّز به الأمير من غنى.

رَجَا الرُّومُ مَنْ تُرْجَى النَّوَافِلُ كُلُّهَا
لَدَيْهِ وَلَا تُرْجَى لَدَيْهِ الطَّوَائِلُ (١)
فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الْقَتْلِ وَٱلْأَسْرِ سَاقَهُمْ
فَقَدْ فَعَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فَاعِلُ (٢)
فَخَافُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ
وَجَاؤُوكَ حَتَّى مَا تُرَادُ السَّلَاسِلُ (٣)
أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ
كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ (٤)
إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَائِبٌ
فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلُ (٥)

(١) و (٢) النوافل، الواحدة نافلة: العطايا. الطوائل، الواحدة طائلة: الأحقاد. لقد وجد الروم أميراً كريماً يبذل المال لمن تمنّى عطاءه فلا يتردّد مهما كان المطلوب، وفي المقابل أنه فوق رجاء أن يجد أعداؤه غرّة ينفذون منها ليأخذوا ثأرهم، إنه شديد الحذر، فضلاً عن قوّته العظيمة في القتال، وهذا ما يدفعهم إلى القنوط من ذلك فيعملون على مهادنته ومسالمته لعجزهم من أن يكيدوا له، فضلاً عن خوفهم على أرواحهم التي بين أكتافهم من أن يغتالها بسيوفه أو أن يكونوا من أسراه، ولقد استجابوا لإرادة الأمير الذي يعمل على إذلالهم بقتلهم جسدياً في التخلّص منهم أو معنوياً بإذلالهم واستسلامهم لإرادته.

(٣) لقد تملّك الخوف قلوب الأعداء وعيونهم وأفكارهم، لذا فلن يزيد الموت من إحساسهم به شيئاً يُذكر، لو أعمل الأمير القتل فيهم، فكان أن جاء القوم طائعين أذلّاء، ومن المحتمل أن يحمل الواحد منهم سلاسلَ ليقيّد بها، لأنهم آثروا الحياة في الذلّ عن الكرامة، لو كانت تعني موتهم؛ فمن طبيعة هؤلاء حبّ الدنيا مهما تكن.

(٤) الجداول، الواحد جدول: النهير. يبدو للشاعر أن سائر الملوك سوف يُوادعون ويسلمون إلى الأمير قيادهم، فمصير الجداول أن تلتقي في نهر عظيم هدّار يبتلع كلّ الجداول فتغيب في طيّاته وتختفي معالمها؛ وبذلك يقوى أكثر فيدين له العدوّ قبل الصديق.

(٥) الطلّ: المطر الضعيف. الوابل: المطر الكثير، يُخاطب الشاعر ممدوحه منوّهاً بكرمه، مقارنة بين كرم سائر الملوك وبين كرمه، فكثيرهم قليل ونزر إذا ما قُورن بقليله، فكثيرهم عبارة عن طلّ يكاد يُبين، وسحابه يحمل في أنحائه مطراً مدراراً لا يُجاريه طلّهم.

كَـرِيـمٌ مَـتَـى ٱسْـتُـوهِـبْـتَ مَـا أَنْـتَ رَاكِـبٌ
وَقَـدْ لَـقِـحَـتْ حَـرْبٌ فَـإِنَّـكَ نَـازِلُ (١)
أَذَا ٱلْـجُـودِ أَعْـطِ الـنَّـاسَ مَـا أَنْـتَ مَـالِـكٌ
وَلَا تُـعْـطِـيَـنَّ الـنَّـاسَ مَـا أَنَـا قَـائِـلُ (٢)
أَفِـي كُـلِّ يَـوْمٍ تَـحْـتَ ضِـبْـنِـي شُـوَيْـعِـرٌ
ضَـعِـيـفٌ يُـقَـاوِيـنِـي قَـصِـيـرٌ يُـطَـاوِلُ (٣)
لِـسَـانِـي بِـنُـطْـقِـي صَـامِـتٌ عَـنْـهُ عَـادِلٌ
وَقَـلْـبِـي بِـصَـمْـتِـي ضَـاحِـكٌ مِـنْـهُ هَـازِلُ (٤)
وَأَتْـعَـبُ مَـنْ نَـادَاكَ مَـنْ لَا تُـجِـيـبُـهُ
وَأَغْـيَـظُ مَـنْ عَـادَاكَ مَـنْ لَا تُـشَـاكِـلُ (٥)

(١) ورد البيت في دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣٧٥. لقحت حرب: اشتدّ أوارها. يُنوّه الشاعر بألمعيّة الأمير؛ إنه كريم بالفطرة، فما من مخلوق يطلب منه إلا وسارع إلى إجابته، حتى لو أن أحدهم استوهب منه فرسه، والحرب قد اشتدّ أوارها لترجّل عنه وأعطاه لمن طلب رغم شدّة حاجته إلى جواده.

(٢) يُخاطب الشاعر ممدوحه حاضاً إياه على البذل والعطاء ممّا يتناغم مع طبيعته، وألّا يتنازل عن شعره، فليستأثر الشاعر وشعره لنفسه وألّا يتركه يرحل عنه إلى سواه، وبذلك يكون ضيّع ذكره والإشادة بمكارمه، وحال دون انتشار مدحه فيه بين البشر.

(٣) و (٤) الضبن: ما بين الإبط والكشح. شويعر: تصغير شاعر للتحقير. لطالما تبرّم المتنبي من سواه من الشعراء، ونظر إليهم باحتقار. إنه بلا شكّ شاعر عظيم في عصره. يستغرب أن يتجرّأ أحد الشعراء الذي يعتبره المتنبي شويعراً ولا يزيده على ذلك شيئاً، ولصغر حجمه، فبإمكان المتنبي أن يجعله تحت إبطه، إنه قرم يُطاول عملاقاً يناطح رأسه السماء، فإذا ما نظر إليه وهو على هذه الحالة وجد الشاعر أنه لا يستحقّ التفاتة منه حتى ولا كلمة هجاء، فصمته وسكوته عنه وعن أمثاله أقسى حدود السخرية من قبل الشاعر استصغاراً لشأنهم واحتقاراً لهم.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٢. يأتي الشاعر بحكمة مفادها أن المنادي يُتعب نفسه ويزداد تعباً باستمرار مناداة امرئ لا يجيب على النداء، ولكن في حال الردّ عليه، فقد أراحه وشفاه من متابعة ندائه، وكذلك فالعدوّ يزيده ألماً إذا ترفّع عن المرء شعوره بأنه أفضل منه، فيُميته ذلك كيداً فيُشعره بالذلّ أكثر.

وَمَـا الـتِّـيـهُ طَـبِّـي فِـيـهِـم غَـيْـرَ أَنَّـنِـي
بَـغِـيـضٌ إِلَـيَّ ٱلْـجَـاهِـلُ الْـمُـتَـعَـاقِـلُ (١)
وَأَكْـبَـرُ تِـيـهِـي أَنَّـنِـي بِـكَ وَاثِـقٌ
وَأَكْـثَـرُ مَـالِـي أَنَّـنِـي لَـكَ آمِـلُ (٢)
لَـعَـلَّ لِـسَـيْـفِ الـدَّوْلَـةِ الْـقَـرْمِ هَـبَّـةً
يَـعِـيـشُ بِـهَـا حَـقٌّ وَيَـهْـلِـكُ بَـاطِـلُ (٣)
رَمَـيْـتُ عِـدَاهُ بِـالْـقَـوَافِـي وَفَـضْـلِـهِ
وَهُـنَّ الْـغَـوَازِي الـسَّـالِـبَـاتُ الْـقَـوَاتِـلُ (٤)
وَقَـدْ زَعَـمُـوا أَنَّ الـنُّـجُـومَ خَـوَالِـدٌ
وَلَـوْ حَـارَبَـتْـهُ نَـاحَ فِـيـهَـا الـثَّـوَاكِـلُ (٥)
وَمَـا كَـانَ أَدْنَـاهَـا لَـهُ لَـوْ أَرَادَهَـا
وَأَلْـطَـفَـهَـا لَـوْ أَنَّـهُ الْـمُـتَـنَـاوِلُ (٦)

---

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٧. التيه: التكبّر. طبّي: شأني وعادتي. ينفي الشاعر عن نفسه شعوره بالاستعلاء والتكبّر على الآخرين ولكن الأمر أنه يكره الجاهل الأحمق من يعتقد في نفسه الحصافة والرصانة والتعقّل، والأمر فيه نظر، فهل يُعقل أن يجتمع في بلاط سيف الدولة أمثال الأغبياء، إنها المنافسة على الاستئثار بقلب الأمير وماله وإعجابه.

(٢) يُخاطب الشاعر سيف الدولة أن فخره نابع من حسن نظره بالشاعر، وأن رأس ماله هو أمله بأن يكون إلى جانبه في مناضلته من يعتبرهم حاسديه.

(٣) القرم: السيد. الهبّة: الصحوة. يأمل الشاعر من سيف الدولة أن يصحو وينتبه إلى سائر أقوال الشعراء فيه، وهو شاعر عربي مثقّف يستطيع أن يميّز بين ما هو ركيك من الشعر وما هو أصيل عالي الرتبة، فيحكم للمتنبي، وهذا يكفيه شرفاً ورفعة.

(٤) القوافي: القصائد. الغوازي: التي تغزو وتنتصر. يُحارب الشاعر أعداء الأمير بقصائده كأنها سهام قاتلة تصيب منهم مقاتلهم، فقد أشاد به وبفضله، فأثار قلق وحسد أعدائه، فإذا بسهامه تقتلهم وتبقى سالمة شائعة تنشر ذكره في العالمين.

(٥) و (٦) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٤. الثواكل، الواحدة ثاكل: من فقدت أقرباءها من النسوة. ومن مغالاة المتنبي أن من البشر من =

قَـرِيـبٌ عَـلَـيْـهِ كُـلُّ نَـاءٍ عَـلَـى الْـوَرَى
إِذَا لَـثَّـمَـتْـهُ بِـالْـغُـبَـارِ الْـقَـنَـابِـلُ (١)
تُـدَبِّـرُ شَـرْقَ ٱلْأَرْضِ وَالْـغَـرْبَ كَـفُّـهُ
وَلَـيْـسَ لَـهَـا وَقْـتـاً عَـنِ ٱلْـجُـودِ شَـاغِـلُ (٢)
يُـتَـبِّـعُ هُـرَّابَ الـرِّجَـالِ مُـرَادَهُ
فَـمَـنْ فَـرَّ حَـرْبـاً عَـارَضَـتْـهُ الْـغَـوَائِـلُ (٣)
وَمَـنْ فَـرَّ مِـنْ إِحْـسَـانِـهِ حَـسَـداً لَـهُ
تَـلَـقَّـاهُ مِـنْـهُ حَـيْـثُـمَـا سَـارَ نَـائِـلُ (٤)

= زعم أن النجوم خالدة قابعة في السماء، فلو أنها كانت حرباً عليه لأفناها وجعل الثاكلات يبكينها حزناً وأسفاً، ولو أنه عمل على استمالتها والتقرّب منها بلطف لهان عليه ذلك الأمر، لأنه محظوظ في دنياه، يستطيع بدماثته ولين حديثه وحسن تصرّفه معها عليه بلوغ ما يريد.

(١) النائي: البعيد. الورى: الناس، البشر. لثام جزء من العمامة يغطي به الفارس العربي وجهه. القنابل، الواحدة قنبلة: جماعة الخيل، أو الجماعة من الناس. يصف الشاعر بأن ممدوحه ذو إرادة وعزم، فإذا أراد شيئاً يستحيل تحقيقه على أيدي البشر حقّقه بفضل جيشه الذي ينتشر في أرض المعركة وقد أثارت خيوله زوبعة من الغبار فكأنها لثام في وجوه أعدائه.

(٢) يقول الشاعر عن مشاغل ممدوحه أن من بينها، أنه يعمل على إخضاع ممالك الشرق والغرب وتدبير شؤونها كما يرغب ويشتهي بسيفه وحسن سياسته، فذلك شغله الأكبر والأهمّ، وهو في نفس الوقت يهتمّ بالجود فلا ينقطع عنه أبداً مهما كانت الظروف المحيطة به، فلا يشغله شاغل عن ذلك.

(٣) الهُرّاب، الواحد هارب. الغوائل، الواحدة غائلة: المهالك. من حسن حظّ الأمير أن تُواتيه أمانيه ورغباته من حيث لا يدري، فلو فرّ من المعركة من كان في نيّته أن يقتله لصادفته المنية من حيث لا يدري واغتالته.

(٤) النائل: العطاء. يمدح الشاعر الأمير بالجود الذي يعمّ جميع الخلق، الولي الصديق والعدوّ سواء بسواء. فمن فرّ منه رافضاً صداقته أو حاسداً له، فحيثما حلّ سيجد عطايا الأمير قد سبقته مخصّصة له دون سواه.

فَـتًـى لَا يَـرَى إِحْـسَـانَـهُ وَهْـوَ كَـامِـلٌ
لَـهُ كَـامِـلاً حَـتَّـى يُـرَى وَهْـوَ شَـامِـلُ[١]
إِذَا الْـعَـرَبُ الْـعَـرْبَـاءُ رَازَتْ نُـفُـوسَـهَـا
فَـأَنْـتَ فَـتَـاهَـا وَالْـمَـلِـيـكُ ٱلْـحُـلَاحِـلُ[٢]
أَطَـاعَـتْـكَ فِـي أَرْوَاحِـهَـا وَتَـصَـرَّفَـتْ
بِـأَمْـرِكَ وَالْـتَـفَّـتْ عَـلَـيْـكَ الْـقَـبَـائِـلُ[٣]
وَكُـلُّ أَنَـابِـيـبِ الْـقَـنَـا مَـدَدٌ لَـهُ
وَمَـا يَـنْـكُـتُ الْـفُـرْسَـانَ إِلَّا الْـعَـوَامِـلُ[٤]
رَأَيْـتُـكَ لَـوْ لَـمْ يَـقْـتَـضِ الـطَّـعْـنُ فِـي الْـوَغَـى
إِلَـيْـكَ ٱنْـقِـيَـاداً لَأَقْـتَـضَـتْـهُ الـشَّـمَـائِـلُ[٥]

(١) يمدح الشاعر الأمير بالفتوّة الحقّة في موضوع الإحسان والجود، فكمال الإحسان لديه أن يشمل الناس جميعاً بعطائه ورفده، والكمال من طبيعة كلّ كامل، فلا يصدر عن الكامل إلّا الكامل في شتّى مناحي الحياة.

(٢) و (٣) العرب العرباء: العرب الخلّص الذين لم تشبهم شائبة غير العربيات من جهة أمهاتهم. رازت: جرّبت واختبرت، الحلاحل: السيد. إنها مباراة الأفضل، ذلك الميزان الذي يُنبئ عن حقيقة وجود المثل العليا في المجتمعات التي لم تشوّهها المفاسد، والفتى هو نتاج تلك المجتمعات، فالعرب العاربة قد وقع اختيارها على فتاها، إنه الأمير، فالإجماع على سيادته لكرمه وشجاعته حمله إلى سُدّة الإمارة. فكان أن أذعنت له طائعة، تأتمر بأمره وتلتفّ حوله، وكان قائدها بلا منازع، حتى لو طلب منهم التخلّي عن أرواحهم لاستجابوا بحبّ وامتنان.

(٤) الأنابيب، الواحدة أنبوب: العقد ما بين الكعاب من الرماح. القنا: عيدان الرماح. المدد: العون والمساعدة. يُمثّل الشاعر علاقة العرب بالأمير، فلا يُمكن أن يستغني منهم الواحد عن الآخر، فالأعراب بمثابة عقد الأنابيب من الرمح، والرمح بلا سنان لا وجود له أصلاً، فالسنان عامل الرمح وبه يتمّ الطعن وهو الأهم في الرمح، فالسنان هو الأمير، تكون الحروب به وبتوجيهه.

(٥) يقتضي: يتطلّب. الوغى الحرب. الشمائل: الصفات والأخلاق. ثمة طريقان يستوجبان انقياد الناس طاعتهم لأولي الأمر، السيف، فيكون الأمر بالإكراه، والحبّ فيكون الانقياد والتسليم ناتجين عن رغبة صادقة لا تنطوي على كره يُشعر بالذلّ، وفي أولى الحالات يعمل الناس على الخلاص ممن أذعنوا له =

وَمَنْ لَمْ تُعَلِّمْهُ لَكَ الذُّلَّ نَفْسُهُ
مِنَ النَّاسِ طُرًّا عَلَّمَتْهُ المَنَاصِلُ(١)

أنت صحيح لا عليل

لما وافى رسول ملك الروم رأى سيف الدولة يتشكى فقال: أتراه يفرح بعلتنا؟ فقال أبو الطيب:

[المتقارب]

فُدِيتَ بِمَاذا يُسَرُّ الرَّسُولُ؟
وَأَنْتَ الصَّحِيحُ بِذَا لَا العَلِيلُ(٢)
عَوَاقِبُ هَذَا تَسُوءُ العَدُوَّ
وَتَثْبُتُ فِيهِمْ وَهَذَا يَزُولُ(٣)

آلة العيش صحة وشباب

يرثي أخت سيف الدولة الصغرى ويسليه ببقاء الكبرى أنشده إياها يوم الأربعاء النصف من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثلاث مئة (٩٥٥م):

[الخفيف]

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرَّزِيَّةِ فَضْلَا
تَكُنِ الْأَفْضَلَ الْأَعَزَّ الْأَجَلَّا(٤)

= غصباً وإكراهاً بالإرهاب والدسائس، وقد يصل الأمر إلى الخيانة.

(١) المناصل، الواحد منصل: السيوف. ينهي الشاعر قصيدته بما ينمّ عن وجهته القرمطيّة أن الطاعة إن لم تكن طواعية، لا بدّ أن تكون بالإكراه، فاستعمال السيف الطريقة المثلى برأي الشاعر، فسيوف سيف الدولة بإخضاع الناس لمشيئته.

(٢) يُخاطب الشاعر سيف الدولة ردًّا على سؤاله داعياً له بالسلامة، ومعلناً أن كلّ الناس يفدونه بأرواحهم إذا ألمّ به مكروه، وممّا يدلّ على سلامته أنه حصل له ما يحصل لسائر البشر في الأحوال العادية، فبذلك سيكون سليماً حتى في نظر الرسول، فلا يستغرب ما حصل للأمير.

(٣) عواقب، الواحدة عاقبة: النتائج السيّئة، فنتائج الدمّل الذي يُعاني منه الأمير ستكون سيّئة على العدوّ، ففي حال عاود الأمير غزوهم، فستكون النتيجة مدمّرة وسيّئة عليهم، وما ألمّ بالأمير فسيزول عندما يقتضي مدته من المرض.

(٤) الرزيئة والرزيّة: المصيبة والفاجعة. يخاطب الشاعر سيف الدولة مادحاً فيه الصبر =